

تحليل سيميائي للعتبات النصية في رواية نوبة الغريبة لمحمد الأمين بن ربيع: الغلاف والعنوان أمودجا. A Semiotic Analysis of Paratextual Thresholds in the Novel Nawbat al-Gharbiyya by Mohammed Al-Amine Ben Rabia: The Cover and Title as Models

* كلثوم مزياي

جامعة الحاج لخضر - باتنة (الجزائر)

Batna1 university (Algeria)

kaltoum.meziani@univ-batna.dz

تاريخ النشر: 2026/06/02

تاريخ القبول: 2026/03/14

تاريخ الإرسال: 2025/09/15

مَلِكُ خُصْلٍ لِبَحْثٍ

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل سيميائي معمق للعتبات النصية في رواية "نوبة الغريبة" للكاتب الجزائري محمد الأمين بن ربيع، إذ تتخذ من الغلاف والعنوان محورين أساسيين للبحث والتقصي. وانطلاقاً من هذا التوجه، تسعى الدراسة إلى الإجابة عن جملة من التساؤلات الجوهرية، أبرزها: كيف يشكل الغلاف والعنوان منظومة دلالية متكاملة؟ وما الآليات السيميائية التي تحكم تفاعلها؟ وكيف يوجه هذا التفاعل تلقي النص الروائي؟

وتتكئ الدراسة في مقاربتها على المنهج السيميائي أداةً إجرائية لرصد العلامات وفك شفراتها الدلالية، ساعيةً إلى الكشف عن الكيفية التي تتضافر بها هذه العتبات في بناء منظومة دلالية تُسهّم في إرشاد القارئ وتوجيه قراءته للنص. وقد خلصت الدراسة إلى أن الغلاف يُشكّل نسقاً بصرياً مؤشّياً بالرموز الثقافية والجمالية، في حين ينفّذ العنوان على أفاق دلالية متشعبة تتفاعل مع عمق المتن الروائي. فضلاً عن ذلك، أثبتت النتائج أن ثمة علاقة تكاملية تجمع بين العنصرين، تعمل معاً على تشكيل أفق توقع القارئ وإثراء تجربته القرائية وتوسيع مداها. الكلمات المفتاحية: العتبات النصية؛ نوبة الغريبة؛ سيمياء.

Abstract:

This study investigates the paratextual elements of the Algerian novel Nawbat al-Gharbiyya by Mohammed Al-Amine Ben Rabia through a semiotic lens, with particular focus on the front cover and title as primary objects of analysis. The central questions

* كلثوم مزياي. kaltoum.meziani@univ-batna.dz

driving this inquiry are: In what ways do the cover and title collectively constitute a unified semantic system? What semiotic mechanisms underlie their interaction? And to what extent does this interaction shape the reader's engagement with the narrative?

Drawing on semiotics as its core methodological framework, the study examines how these paratextual components work together to generate meaning and orient the reading process. The findings reveal that the cover operates as a rich visual system embedded with cultural and aesthetic symbolism, while the title unfolds multiple layers of meaning that resonate deeply with the novel's content. Taken together, these two elements prove to be mutually reinforcing, playing a decisive role in constructing the reader's horizon of expectations and ultimately enhancing the overall reading experience.

Keywords: accompanying texts; literary text analysis; semiotics; textual entry point



1- مقدمة:

تحتل العتبات النصية مكانة بارزة في الدراسات الأدبية الحديثة، باعتبارها فضاءً دلاليًا يقع بين النص وقارئه، ويضطلع بدور محوري في توجيه عملية التلقي وإرساء أفق القراءة. وقد أسهم جيران جينيت في تأسيس هذا المفهوم وتعميقه حين عرّف العتبات بأنها النصوص المحيطة بالمتن الأدبي، والتي تشكل المداخل الأولى لاستيعاب النص واستجلاء مقاصده. ولعل العنوان والغلاف أبرز هذه العتبات وأكثرها حضوراً، إذ يستقبل القارئ من خلالها النص قبل أن يخوض في تفاصيله، فيرسمان في ذهنه تصوراً أولياً يوجه تأويله ويمنح قراءته بعداً استباقياً.

وفي هذا السياق، تبرز رواية "نوبة الغريبة" للكاتب الجزائري محمد الأمين بن ربيع نصاً جديراً بالتأمل والمساءلة السيميائية؛ إذ يتضمن عنوانها شحنةً دلاليةً موحية تتقاطع مع قضايا الغربة والهوية والانتماء، فيما يزخر غلافها بعناصر بصرية تشكل نصاً موازياً يحاور المتن ويغني دلالاته. ومن هذا المنطلق، يسعى هذا البحث إلى مقارنة هذين العنصرين سيميائياً، واستكشاف ما ينسجانه معاً من شبكة دلالية تُسهّم في بناء المعنى وتوجيه القراءة.

تنطلق إشكالية هذا البحث من التساؤل الجوهرية الآتي: كيف تشغل العتبات النصية مثلاً في الغلاف والعنوان في رواية "نوبة الغريبة" لمحمد الأمين بن ربيع لتنتج منظومة دلالية متكاملة تُسهّم في بناء المعنى وتوجيه فعل القراءة؟

2- أهمية العتبات النصية:

قبل الغوص في أغوار أي نص لا بد أن لا نتجاهل عتباته، لأنها المفتاح الذي من شأنه أن يعرفنا على محتواه ويقربنا من فهمها، وهي بمثابة الجسر الذي يربط بين عالم القارئ والعالم النصي، فتشكل منطقة انتقالية تدريجية تهئ

المتلقي للدخول في فضاء النص وتجعله يتكيف مع أجوائه ومناخه الخاص. هذا منطقة غامضة بين الباطن والظاهر هي نفسها دون حدود صارمة لا نحو الداخل (النص) ولا نحو الخارج (القاضي وآخرون. 2010. ص 462) وهذا الطابع الغامض والممتبس للعتبات يجعلها أكثر إثارة وإغراء للقارئ، فهي تحمل في طياتها إشارات ورموزاً تنتمي إلى النص وإلى الواقع الخارجي في الوقت نفسه، مما يخلق شبكة معقدة من العلاقات الدلالية التي تتطلب من القارئ جهداً تأويلياً خاصاً. كذلك هو الأمر بالنسبة للرواية فلا يمكننا أن نتحاشى عتباتها فهي تحفز القارئ وتستدرجه للولوج في عوالمه، فهي التي تحيط النص السردية بداية من التعرف على متاهاته وإدراك مواطن جالياته؛ فالعتبات هي التي تسيج النص وتسميه وتحميه وتدافع عنه وتميزه عن غيره وتعين موقعه في جنسه وتحدث القارئ على اقتنائه فهي التي تحيط بالنص السردية فتهد له، وتحفز القارئ وتستدرجه للولوج في عوالمه (بوعود. 2014. ص 115) إن العتبات النصية تعمل أدوات إقناعية وإغرائية تسعى لجذب انتباه القارئ وإثارة فضوله، فهي تقوم بوظيفة تسويقية وجالية في الوقت ذاته، حيث تسوق للنص وتروج له من خلال ما تحمله من عناصر بصرية ولغوية جذابة، كما تؤدي وظيفة جالية من خلال ما تضيفه على النص من قيمة فنية إضافية. لأنها المسلك

الأول للولوج في النص، فهي وضعت لكي تبعدنا عن الحيرة في تعاملنا مع أي نص روائي، وتوجه توقعاتنا وتشكل أفق انتظارنا قبل الشروع في القراءة الفعلية للمتن، بل إنها تستمر في التفاعل مع النص طوال عملية القراءة، حيث يعود إليها القارئ مراراً لتأكيد فهمه أو لإعادة تأويل ما قرأه في ضوء ما اكتشفه من معاني جديدة. ومن هذه العتبات نجد:

أولاً: الغلاف:

البداية تكون مع صورة الغلاف، والصورة كما جرت العادة، يمكن أن نفهم من خلالها، الدلالة الحقيقية والمجازية في آن واحد، فهي الشكل البصري المتيقن، كما أنها تعتبر الشكل الذهني المتخيل، الذي تثيره العبارات اللغوية، فصار ضرورياً أن نميز بين الأنواع المختلفة للصورة، في علاقاتها بالواقع الخارجي. وعليه فسأحاول مقارنة صورة الغلاف المؤتة بثلاث علامات هي: اللوحة التشكيلية، اسم المؤلف، والعنوان، وجميعها ترتبط مع المتن الحكائي بعلاقات تحقق نوعاً من الاستباق، وتتغيا تمهيداً أو تصريفاً لإيجاء رمزي.

تعتبر صورة الغلاف العنصر البصري الذي يلفت الانتباه إلى العمل الروائي، وفي نفس الوقت، تحمل معاني ورموز تلقي الضوء على مضمون العمل نفسه. تمثل الصورة الفنية على غلاف العمل الأدبي جزءاً مهماً من التجربة القرائية. فهي تعكس الجانب الفني والجمالي للعمل وتساهم في جذب القراء وجعلهم يشعرون بالاهتمام. تجسد صورة الغلاف عنصراً هاماً في التواصل بين الكتاب والقراء، حيث تحمل العديد من الرموز والدلالات التي تسهم في فهم العمل الأدبي وتجذب القراء نحو قراءته من غلاف الرواية الذي يحتوي على العنوان الذي يوسمه، ويفتح أمام ذهن القارئ مجموعة من الافتراضات والأسئلة حول مضمون المتن السردية، واسم الكاتب الذي يزيد من اشتها القارئ ويحفزه على اقتنائه وقراءته، ولفظة رواية التي تحدد جنسه، وغيرها من مكونات العتبة النصية (بوعود. 2014. ص 115).

1: تحليل الدوال والمدلولات

يقوم التحليل السيميائي للغلاف على رصد العلاقة بين الدوال المرئية ومدلولاتها الضمنية، وفق ما أرساه فردينان دو سوسير في نظريته العلامية. وتتجلى في غلاف الرواية جملة من العلامات المركبة يمكن تفكيكها على النحو الآتي:

الدال (المرئي)	المدلول المباشر	المدلول الضمني
المرأة بالزي التقليدي	شخصية أنثوية	الهوية، الأصالة، الانتماء
اللون الأحمر	الحياة، الدفء	الألم، الجرح، التوتر الداخلي
البياض في الخلفية	الفراغ، الهدوء	الغياب، الصمت، الانتظار
وضعية الجسد	التأمل	الاغتراب، الانكفاء على الذات

2: المستويات الدلالية

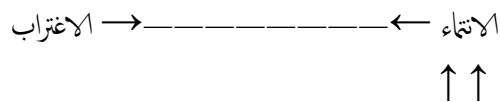
يتشكل الغلاف عبر ثلاثة مستويات دلالية مترتبة:

تتجلى الدلالة الأولى أو الحرفية في المستوى الأيقوني، وهي الصورة الظاهرة المباشرة: امرأة في فضاء مفتوح ترتدي لباساً تقليدياً. أما الدلالة الثانية أو الرمزية فتتكشف حين تتجاوز العناصر البصرية ظاهرها لتحمل شحنات دلالية أعمق؛ إذ يُحيل الزي التقليدي إلى الهوية المهددة بالاندثار، واللون الأحمر إلى التجربة الوجدانية المؤلمة. وتتجلى الدلالة الثالثة أو الأيديولوجية في البعد الثقافي والاجتماعي الذي يُلَمِّح إليه الغلاف، وهو إشكالية المرأة الجزائرية بين الموروث والراهن، وتوترات الهوية في السياق المغاربي المعاصر.

3: المربع السيميائي لثنائيات الغلاف

يكشف الغلاف عن ثنائيات متعارضة تُشكّل البنية الدلالية العميقة للنص، يمكن رسمها وفق المربع السيميائي

لغريماس:



الحضور ← ————— → الغياب

يتموضع الزي التقليدي في خانة الانتماء والحضور، في حين توحى وضعية المرأة وتعبيرها بالاغتراب والغياب الداخلي، مما يُنتج توتراً دلالياً يُجسّد الصراع الذي يُرجّح أن يكون محور الرواية.

4: وظائف العلامات البصرية

تضطلع العلامات البصرية في الغلاف بوظائف سيميائية محددة؛ فالوظيفة الإيمائية تتجلى في توليد الغلاف وهم الواقعية من خلال الصورة الفوتوغرافية التي تمنح النص مصداقيةً تجريبية. والوظيفة الاستباقية تتمثل في كون الغلاف يُمثّل خلاصةً بصرية مضغوطة للمتن، يستبق من خلالها موضوعات الرواية الكبرى. أما الوظيفة الإغرائية فتكمن في استدراج القارئ واستثارة فضوله عبر التوتر الدلالي القائم بين عناصر الغلاف.

5: تفاعل الغلاف مع العنوان سيميائياً

تنشأ بين الغلاف والعنوان علاقة سيميائية تكاملية؛ فالعنوان "نوبة الغريبة" يُقدّم مفهوماً لغوياً مجرداً يحتمل تأويلات متعددة، بينما يتولى الغلاف تجسيد هذا المفهوم بصرياً وتحويله إلى صورة حيّة تُضيق هامش التأويل وتُرسخ بُعداً دلالياً بعينه. وبهذا يغدو الغلاف مفتاحاً إجرائياً يُوجّه القارئ نحو قراءة محددة للعنوان، فيما يمنح العنوان الصورة البصرية عمقها الرمزي ومرجعيتها الدلالية.



(بن ربيع، 2022).

ومن سيميائية وجه الغلاف كذلك اسم الكاتب "محمد الأمين بن ربيع" وبخط أسود أقل سمكا من خط اسم الرواية "نوبة الغريبة" الذي يتوضع في أعلى الصفحة، ووجود الاسم في هذا الموضع يوحي بدلالات منها: الرفعة والسمو، وكأنه يقف أمام القارئ قائلاً: "هذا أنا محمد الأمين بن ربيع" مؤلف هذه الرواية، لأن الاسم في أعلى الصفحة ليس كوضعه في الأسفل وفي نهاية الصفحة وفي منتصفها تماماً وبخط أصغر وأقل سمكا ووضع الرمز واسم دار النشر ولعل أهم ما يلفت انتباهنا في هذه الصورة هي الكتابة الموجودة على الغلاف بدأ بالمؤلف. اسم المؤلف: يمكن أن يكون اسم المؤلف ذا أهمية كبيرة في صورة الغلاف، حيث يعرف القراء بالكاتب وأعماله السابقة، مما يؤثر على انطباعهم الأول عن الكتاب، محمد الأمين بن ربيع، روائي من مواليد 1987، له مجموعة من الأعمال المسرحية والأدبية في القصة والرواية، من بينها: "عطر الدهشة"، و"بوح الوجع"، "قدس الله . سري"، نوبة الغريبة" تحصل على عدة جوائز وطنية، منها: جائزة "ثقافة"

وفنون" في القصة القصيرة، وجائزة عبد الحميد بن هدوقة للرواية، وجائزة عبد الحميد بن باديس، وكذلك جائزة محمد العيد آل خليفة في القصة القصيرة، وجائزة رئيس الجمهورية "علي معاشي"، عن نصه المسرحي "موت الذات الثالثة"، فضلاً عن جائزة المهرجان الدولي للأدب وكتاب الشباب، وكذا جائزة الطاهر وطار للرواية. وجائزة الهيئة العربية للمسرح عن نصه المسرحي "كفن البروكار" 2018.

العنوان: يحمل العنوان معاني ورموز ترتبط بمضمون العمل، ويمكن أن يكون له تأثير كبير على توجه القراء نحو العمل وتوقعاتهم. والذي خصصنا له جزء من الدراسة والتحليل.

هذا بالنسبة للواجهة الأمامية للغلاف أما الواجهة الخلفية فيتبدى لنا على خلاف الواجهة الأمامية أنها خالية من اللوحات التجريدية والأشكال والرسومات والألوان، ففي ظهر الغلاف نجد إعادة كتابة اسم الرواية وصاحبها كذا ملخص عن الرواية أورده محمد عيسى المؤدب.

ثانياً- التحليل السيميائي للغلاف الخلفي لرواية "نوبة الغريبة"

1: تحليل الدوال والمندولات

الدال	المدلول المباشر	المدلول الضمني
النص التعريفي	ملخص الرواية	استدراج القارئ وفتح أفق التوقع
اسم المقدم	توثيق أدبي	منح النص شرعية نقدية
اللون الداكن للخلفية	هدوء بصري	عمق ثقل، رصانة
الخط العربي المزخرف للعنوان	جمالية بصرية	إحالة إلى التراث والهوية

2: المستويات الدلالية

يشتغل الغلاف الخلفي على ثلاثة مستويات دلالية متميزة؛ فعلى المستوى الأيقوني يحضر النص الكتابي وحده دون أي صورة، مما يجعل اللغة العلامة الوحيدة الحاملة للمعنى. وعلى المستوى الرمزي يُحيل غياب الصورة إلى نوع من التقشف البصري الذي يُوجه القارئ نحو التركيز على المضمون دون الانشغال بالإغراء البصري. أما على المستوى الأيديولوجي فيكشف النص التعريفي عن شبكة من القضايا الكبرى التي تتمحور حولها الرواية، كالاغتراب والهوية والذاكرة والخسارة.

3: المربع السيميائي لمضمون النص التعريفي

يكشف النص التعريفي عن ثنائيات متعارضة تُبني على المعنى العميق للرواية:

الذاكرة ← ————— → النسيان

↑ ↑

الاتناء ← ————— → الاغتراب

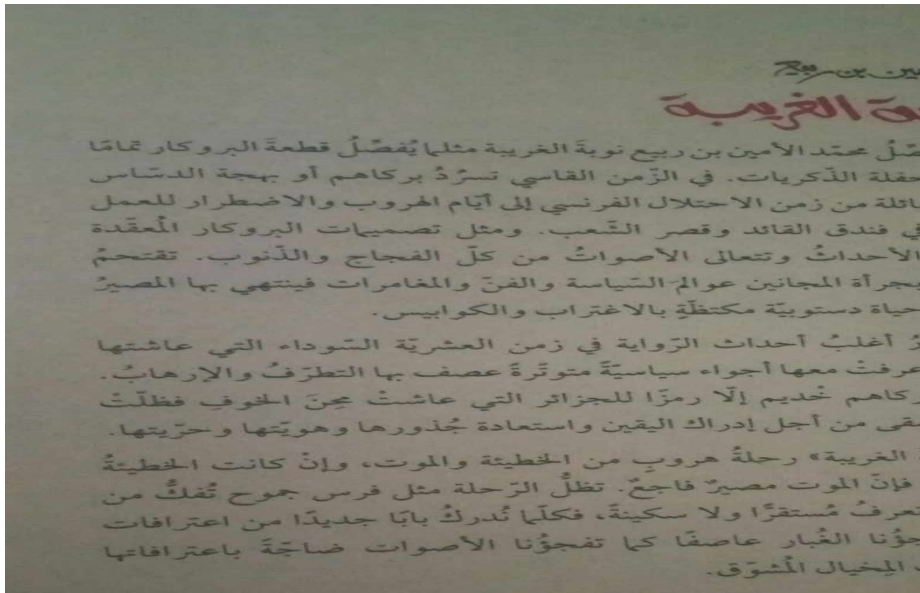
تتموضع شخصية الرواية في فضاء التوتر بين هذه الأقطاب الأربعة، وهو ما يُشكّل البنية الدلالية العميقة للنص ويمنحه طابعه الوجودي الخاص.

4: وظائف النص التعريفي سيميائياً

يضطلع النص التعريفي في الغلاف الخلفي بجملة من الوظائف السيميائية؛ إذ تتجلى الوظيفة الإغرائية في كون النص لا يكشف عن كامل مضمون الرواية بل يكتفي بفتح شهية القارئ وإثارة فضوله. وتبرز الوظيفة التوجيهية في كون النص يُرسم للقارئ أفقاً تأويلياً مسبقاً يُحدد له زاوية نظره قبل الدخول إلى المتن. أما الوظيفة التوثيقية فتتحقق من خلال ذكر اسم المقدّم الذي يمنح النص مصداقية أدبية ونقدية.

5: التكامل السيميائي بين الغلافين

يُشكّل الغلافان الأمامي والخلفي معاً منظومة سيميائية متكاملة؛ فبينما يشتغل الغلاف الأمامي على الإغراء البصري من خلال صورة المرأة والألوان الزاهية، يُحوّل الغلاف الخلفي هذا الإغراء إلى خطاب لغوي يُعمّق الدلالة ويُوسّع أفق التأويل. وبهذا التكامل يُحاصر الغلافان القارئ من طرفين: طرف بصري يستدرج العين، وطرف لغوي يستدرج العقل، مما يجعل فعل القراءة حتمية لا مناص منها.



نلخص في الأخير، إلى أن المظهر الخارجي للرواية "نوبة الغريبة" دال على ما ينطوي ثنايا الرواية وهي تعمل عمل الوسيط بين السارد والمتلقي لما تتضمنه من إغراء.

ثالثا العنوان:

1. تعريف العنوان:

للعنوان في النص الأدبي أهمية كبيرة، إذ يشكل البوابة الرئيسية للعمل الأدبي ويوجه القارئ نحو مضمونه يحتل العنوان موقعا استراتيجيا في النص بما يرسله من طاقة توجيهية في مسار العمل الأدبي. العنوان هو الواجهة الأولى، ويأتي في طليعة العتبات لأنه بوابة العمل الروائي (منقور. 2022. ص15) بالإضافة إلى ذلك، العنوان يمكن أن يكون ملهمًا للقارئ ويثير فضوله لاستكشاف المزيد من النص. إنه عبارة عن ملخص تمثيلي يلخص مضمون النص بشكل إيجازي ويشير إلى الرسالة الأساسية التي يحملها العمل الأدبي: العنوان نظاماً سيميائياً ذا أبعاد دلالية، وأخرى رمزية، تغري الباحث بتتبع دلالاته، ومحاولة فك شيفرته الرامزة. ومن هنا فقد أولى البحث السيميائي جل عنايته لدراسة العنوان في النص الأدبي. وقد ظهرت بحوث ودراسات لسانية سيميائية كثيرة خصصت جزءاً كبيراً منها لدراسة العنوان وتحليله من عدة نواح: تركيبية ودلالية وتداولية، وآية ذلك أن العنوان هو أول عتبة يمكن أن يطأها الباحث السيميائي قصد استنطاقها واستقراءها بصريا ولسانياً، وأفقياً وعمودياً. (فطوس. . ص33)

إن السبب وراء هذا الاهتمام الكبير بالعنوان هو أنه يُعد البوابة الأولى التي يمكن للباحث السيميائي أن يدخل من خلالها لاستنطاقها واستقراءها بصرياً ولسانياً، سواءً أفقياً أو عمودياً. يمكن للعنوان أن يكون له تأثير كبير على تفاعل القارئ مع النص، حيث يمكن أن يثير توقعاته ويعكس جوانب مهمة من محتوى النص. بالتالي، يُعدّ دراسة العنوان من خلال المنهج السيميائي وسيلة مفيدة لفهم عمق المعاني والرموز المحتملة في النصوص الأدبية، وهو يساهم في إلقاء الضوء على التفاعل بين اللغة والثقافة والتراث. كل عنوان هو رسالة صادرة من المرسل إلى المرسل إليه، يتم بمقتضاها عقد قول كما يسميه "غريماس". والعناوين تتعدد من عنوان فضائي تجليه المكونات الزمكانية حيث يحمل ثنائية الزمان والمكان، وقد يكون تشخيصاً ماثلاً أمامك في مشهد حي، أو تجريدًا لينأى عن المباشرة في التعبير بل يلجأ إلى الانحراف الدلالي الذي يكسر أو يخيب أفق التوقعات، وهناك العنوان ذو المسحة الأسطورية الذي قد تنشئ به الرواية غموضاً أو وضوحاً، كما قد يكون مشوشاً موازياً مخاتلاً. يشكل العنوان نقطة ارتكاز في البرنامج السردي ويستجيب في أغلب الحالات إلى أفق انتظار المتلقي حتى يتباعد أن يكون علامة بريئة. العنوان نص صغير واختزال للنص وتلخيص جوهر النص بطريقة تمثيلية إيجازية" (منقور. 2022. ص15).

العنوان على الرغم من كونه نصاً صغيراً، يحمل معه جوهر العمل الأدبي بشكل ملخص وإيجازي، ويكون نقطة تركيز في البرنامج السردي، حيث يستجيب لتوقعات القارئ ويثير اهتمامه. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يكون العنوان وسيلة للمؤلف للعب بالكلمات والأفكار والإشارات بشكل إبداعي لجعل القارئ يتسلل إلى عالم النص بفضول واهتمام.

1. البنية التركيبية للعنوان:

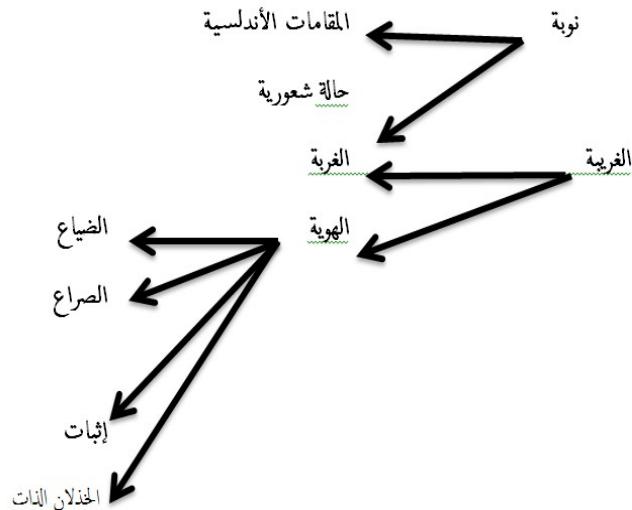
يدخل العنوان والرواية في علاقة تكاملية ترابطية فالأول يعبر عنها والثاني يفسرها. وتكمن أهمية العنوان كعنصر مركب في النصوص الأدبية. إنه يمثل نقطة البداية للقراءة والتفاعل مع النص، ويمكن أن يكون أداة قوية لجذب القراء ونقل المعنى بشكل دقيق يشكل العنوان ثاني أهم عتبات النص بعد اسم المؤلف، وقد تزايد الاهتمام بدراسته وتحليله في الخطاب النقدي الحديث لكونه يمثل مكونا داخليا ذا قيمة دلالية عند النارس، فهو سلطة النص وواجهته الإعلامية، كما أنه يمثل جزءا دالا من النص يؤثر على معنى ما، ووسيلة للكشف عن طبيعة النص وللإسهام في فك غموضه للعنوان إذن - في التنظير الغربي - أكثر من علاقة بالنص، فهو عتبه التي لا يمكن أن نلج إليه إلا عبرها، وهو الجسر الممتد بين الصمت والكلام، المؤسس لنقطة الانطلاق فيه. (الإدرسي. 2015. ص61) يعد العنوان جزءا مهمًا من النص يشير إلى المعنى العام للنص ويوجه انتباه القارئ إلى محتواه. يمكن للعنوان أن يلخص أو يلمح إلى موضوع النص ويساعد في فهم الفكرة الرئيسية للمؤلف. بالاعتماد على العنوان، يمكن للقارئ أن يقرر ما إذا كان سيقراً النص أم لا، لذا فإن تحليل العنوان يعتبر خطوة مهمة في فهم المحتوى النصي واستيعابه.

أما بخصوص العنوان في الرواية الحديثة، فيلاحظ أن علاقته بالنص لم تعد الشأن في الكتابة القديمة - علاقة سؤال بجواب بقدر ما صارت علاقة سؤال يمتد من العنوان إلى النص ومن النص إلى العنوان، بل وأيضاً إلى خارج النص في علاقاته بالحيث الاجتماعي والثقافي والحضاري العام ولم يعد العنوان هو المعنى الوحيد الذي يحدده النص، بل إن النص صار يساهم في خلق معانٍ متعددة للعنوان (الإدرسي. 2015. ص64)، حيث لم يعد العنوان مجرد تعبير عن محتوى النص بل أصبح جزءاً من النص نفسه. يشير النص إلى أن العنوان الآن يمتد من العنوان إلى النص والعكس، ويتفاعل مع السياق الاجتماعي والثقافي والحضاري العام. وبالتالي، يمكن أن يحمل العنوان معاني متعددة تشكل جزءاً من تفاعل القارئ مع النص وتساهم في إثراء مفهومه للعمل الأدبي.

يعد العنوان المرجع الذي يتضمن بداخله العلامة والرمز وتكثيف المعنى، إذ يحاول المؤلف أن يثبت فيه مقصده برمته بوصفه النواة المتحركة التي خاط عليها نسيج نصه. بوصفه علامة سيميائية، تمارس التدليل، وتتموقع على الحد الفاصل بين النص والعالم. لتصبح نقطة التقاطع الإستراتيجية التي يعبر منها النص إلى العالم والعالم إلى النص لتتفني الحدود الفاصلة بينهما، ويحتاج كل منهما الآخر. والصياغة الفنية للعنوان تضيء بالنظم الجيد للبنية النصي والتخطيط المنسق لاسمها إذا علمنا أن النص، إنما هو جملة من التحولات (بخولة. 2014. ص75)، العنوان من بين أهم عناصر المناس (النص الموازي)، لهذا فإن تعريفه يطرح بعض الأسئلة ويلج علينا في التحليل، فجهاز العنونة كما عرفه عصر النهضة أو قبل ذلك، العصر الكلاسيكي كعنصر مهم، كونه مجموع معقد أحياناً أو مركب/ وهذا التعقيد ليس لطوله أو قصره، ولكن مرده مدى قدرتنا على تحليله وتأويله (بلعابد. 2008. ص65). من هنا يمكن أن تقدم تحليلاً لعنوان رواية نوبة الغريبة. التي تحيل إلى مقام من المقامات الأندلسية بالعنوان نفسه «نوبة الغريب» وهو من النوبات الضائعة، كان يُغنى بها في فن الموسيقى الأندلسية وهي محفوظة في كتاب يجمعها كلها يسمى

الديوان. النوبة هو الاسم الذي يطلق على تجزيئات الديوان الكبرى، عدد النوبات حالياً هو 11 نوبة، أما في الأصل فقد كانت هناك 24 نوبة بعدد ساعات اليوم حيث توافق كل نوبة ساعة من ساعات النهار والليل وفق نظام محكم

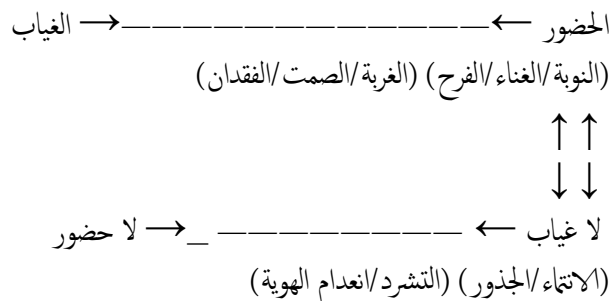
ومسبق. كما تحيل كلمة مقام إلى حالة من الحالات الصوفية أو واحدة من المراتب التي تتقود صاحبها إلى التخلي عن خيوط الحياة السابقة والتشبث بخيوط حياة.



غربة فرضتها الظروف المجتمع الأهل. ضياع الفتاة الشابة بين سعي للتحرر. ومحاولة إثبات الذات. ورفض الذل والقهر. وبالعودة إلى موضوع الرواية وانطلاقها من الثورة المجيدة إلى العشرية السوداء وما عاشه المجتمع الجزائري في تلك الحقبة. وسعي أبطال الرواية إلى الحرية بكل أنواعها.

2: المربع السيميائي لعنوان "نوبة الغريبة"

العنوان كما لاحظنا يتركب من مفردتين محوريّتين: "نوبة" التي تحمل دلالات الدور والتناوب والوقت المحدد، وترتبط في الموروث الموسيقي الجزائري بالطرب والغناء، والغربة التي تحمل دلالات البعد والاعتراق المربع السيميائي وفق نموذج غريمانس:



1-2: قراءة المربع:

تقوم العلاقة بين الحضور والغياب على التعارض التام؛ فالنوبة بما تحمله من دلالة الغناء والاحتفال تقف في مواجهة الغربة التي تعني الانفصال والبعد. أما العلاقة بين الحضور واللاغياب فهي علاقة تضمن؛ إذ يستدعي الانتماء إلى

الجنود حضوراً وجودياً يلغي الغياب. وتقوم العلاقة بين الغياب واللاحضور على التكامل؛ فالغربة في أقصى درجاتها تُفضي إلى انعدام الهوية وضياح الذات. وأخيراً تنشأ بين اللاغياب واللاحضور علاقة تناقض، إذ لا يمكن للجنود والتشرد أن يتعايشا في آن واحد.

يضع العنوان الشخصية في قلب هذه التوترات الأربعة، فهي تنتمي ولا تنتمي، تحضر ولا تحضر، مما يجعل "الغريبة" علامة سيميائية مركبة تجمع بين الهوية والاعترا ب في آن معاً.

نستنتج من خلال تحليلنا للعنوان نوبة الغريبة أن للعنوان علاقة وطيدة بالنص، إذ هو عبارة عن ملخص أو اختصار لكل أحداث الرواية، كونه يترجم محتوى النص، وهذا يوضح لنا قيمة وأهمية العنوان إذ تتجلى أهميته فيما يثيره من تساؤلات لا تلقى لها إجابة إلا مع نهاية العمل، فهو يفتح شهية القارئ للقراءة أكثر،

من خلال تراكم علامات استفهام في ذهنه، والتي بالطبع سببها الأول هو العنوان فيضطر إلى دخول عالم النص عن إجابات لتلك التساؤلات، بغية إسقاطها على العنوان وهذا يعني أن الدراسات الحديثة تؤكد على قضية مهمة هي القوة التي يمارسها العنوان على المتلقي من خلال معرفة أغوار النص.

يتجلى التكامل بين عتبتَي الغلاف والعنوان في رواية "نوبة الغريبة" من خلال جملة من المستويات الدلالية المتشابكة؛ فعلى المستوى البصري اللغوي، يتولى الغلاف تحويل المفهوم اللغوي المجرد الذي يطرحه العنوان إلى صورة حية مجسدة، فمفهوم "الغريبة" الذي يبقى في العنوان رهين التأويل اللغوي يجد في صورة المرأة المتأملمة تجسيدا بصريا يُضيق هامش التأويل ويرسم ملامح الشخصية قبل أن يلج القارئ المتن. في المقابل، يمنح العنوان الصورة البصرية عمقها الرمزي ومرجعيتها الدلالية، إذ لولاه لظلت الصورة مجرد توثيق فوتوغرافي لامرأة بري تقليدي.

وعلى مستوى الثنائيات الدلالية، تنسج العتبتان معاً شبكة من التوترات المتقابلة تتقاطع في نقطة واحدة؛ فالنوبة بما تحمله من دلالة الفرح والغناء تقابلها الغربة بما تنطوي عليه من وجع وانفصال، وهو التوتر ذاته الذي يُجسده الغلاف بصريا من خلال تعارض اللون الأحمر المتوهج والبياض الصامت في الخلفية. وعلى مستوى أفق التوقع، تتوزع وظيفة التوجيه القرائي بين العتبتين توزيعاً متكاملًا؛ إذ يضطلع الغلاف باستدراج العين وإثارة الفضول البصري، بينما يتولى العنوان استدراج الذهن وتحفيز التساؤل الدلالي، فيجتمعان في استهداف القارئ من بُعين مختلفين يُشكلان معاً بوابة واحدة للدخول إلى عالم الرواية.

3-خاتمة:

نصل في نهاية الدراسة إلى مجموعة من النتائج لعل أهمها:

كشف التحليل أن الغلاف يشغل بوصفه نظاماً بصرياً مركباً تتضافر فيه عناصر اللون والصورة والخط لإنتاج شبكة من الدلالات المتشابكة، إذ يهمن اللون الأحمر حاملاً في آن واحد دلالاتي الحيوية والحرج، وهو توتر يستيق الصراع الوجداني الذي تنبني عليه الرواية. كما أثبت تحليل الدوال والمدلولات أن الصورة الأثوية علامة سيميائية مركبة تجمع بين الانتماء الثقافي المُجسّد في الزي التقليدي والاعترا ب الداخلي المُوحى به من وضعية الجسد، فتغدو التجسيد البصري الأمثل لمفهوم "الغريبة". وقد كشف المربع السيميائي أن العنوان يُؤسس لبنية تعاضدية عميقة بين الحضور

والغياب والانتفاء والاعتزاب، تنفتح على إشكاليات وجودية تتصل بالهوية والذاكرة في السياق الجزائري المعاصر. وأخيراً، تجلّي التكامل السيميائي بين العنصرين في كون كل منهما يعمق دلالات الآخر ويُرسّخ أفقاً قرائياً موحّهاً يهيئ القارئ للنص قبل ولوجه.

استناداً إلى ما أفضى إليه هذا البحث من نتائج، يمكن القول إن العتبات النصية في رواية "نوبة الغريبة" تُشكّل منظومة دلالية متكاملة تتجاوز وظيفتها التعريفية المألوفة لتغدو نصاً موازياً قائماً بذاته. فالغلاف بما يحمله من شفرات بصرية ولونية ورمزية يُقيم حواراً دلالياً عميقاً مع العنوان، فيما يكشف هذا الأخير عن كثافة دلالية استثنائية تتوزع بين المعنى الحرفي والمجازي والرمزي، مُجسّداً ثنائيات الحضور والغياب والانتفاء والاعتزاب التي تُهيكل المتن الروائي في عمقه. كما أثبت المنهج السيميائي فاعليته في تفكيك هذه العتبات واستجلاء أنساقها الثقافية المضمرّة وطبقاتها الدلالية المترابطة، مما يُؤكد قدرته على مقارنة النص المصغر بأدوات إجرائية دقيقة.

غير أن هذا البحث لا يدّعي الإحاطة الشاملة بكل أبعاد هذه العتبات، إذ تبقى جوانب عدة رهينة بتوافر معطيات أدق حول ظروف إنتاج الرواية وسياق تلقيها. ويبقى المنهج السيميائي في حد ذاته مقارنةً تأويلية لا تدّعي اليقين المطلق، بل تنفتح على قراءات متعددة تتجدد بتجدد القارئ وسياقه الثقافي.

ومما يمكن أن تُفتح عليه هذه الدراسة من آفاق بحثية، توسيع المقاربة السيميائية لتشمل سائر عتبات الرواية كالإهداء والتصدير والفصول، أو إخضاع عتبات أعمال الكاتبة الأخرى لمقاربة مماثلة للوقوف على خصائص استراتيجيته العنوانية، بل يمكن توظيف هذا الإطار المنهجي على نطاق أوسع في دراسة عتبات الرواية الجزائرية المعاصرة بوصفها مدخلاً كاشفاً عن هواجس الهوية والذاكرة في المشهد الأدبي الراهن.

قائمة المراجع:

1. بسام قطوس، سمياء العنوان، ط1، دار الثقافة، الأردن.
2. بن الدين بخولة، 2014، سيميائية العتبات النصية، مجلة أيقونات، العدد الرابع.
3. عبد الحق بلعابد، 2008، عتبات ج. جينات من النص إلى المناص، تد سعيد يقطين، ط1، دار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.
4. محمد القاضي ومجموعة من المؤلفين، 2010، معجم السرديات، ط1، تونس، دار محمد علي للنشر.
5. يوسف الإدريسي، 2015، عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، بيروت.

المجلات:

6. هند بوعود، (جوان 2014)، شعرية العتبات النصية في الرواية، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد الخامس العشر. الصفحات 153-174.
7. عبيد منقور، (مارس 2022)، استراتيجيات العتبات النصية: البنية والدلالة في الرواية الجزائرية المعاصرة، ميلود جيسور المعرفة maaréfa-El Djoussour للمجلد 9، عدد: 2. الصفحات 14-26.